

من نوبل للسلام إلى الحرب الأهلية.. ماذا حدث في إثيوبيا

حيرة أبي أحمد بين مسؤوليته في الداخل وسمعته في الخارج



جائزة نوبل للسلام لا تمنع الحرب

رمانة ميزان في المواقف الحرجة. ولذا تكمن أهمية نوبل للسلام في أنها تمنح لمن ينجح في حل النزاعات الدولية. وهذا هو الحال في إثيوبيا، حيث تم منح الجائزة لـ 110 من الفائزين، وهو رقم قياسي. وفي إثيوبيا من خانة السلام إلى مربع الحرب.

إلى أقاليم أخرى تواجه معاناة متفاوتة، ولم تعد مرتاحة لتصورات أبي أحمد الذي تضخم معنوا، معتقدا أن قوى كبرى لا تزال تؤازره. بات الرجل قريبا من سيناريو التخلص منه بنعومة، مثل سلفه ديسالين، وما يقلل من هذا الطريق أن التغييرات التي أدخلت على الحزب الحاكم "الإندهار" قلبت توازنات قوى كثيرة، وقضت على جزء معتبر كان يعد

حرب تجاوزتها البلاد منذ سنوات، وبالتالي التأثير سلبا على كل المشروعات التنموية التي اعتقد أنها ورقته الراجحة للإجماع والاندماج الوطني.

تعيد التطورات الراهنة أجواء غامضة سادت إثيوبيا فترات طويلة، وينذر الاحتقان بفوضى ربما يصعب تطويقها، تتجاوز المواجهة بين الحكومة المركزية وإقليم تيغراي، ويمكن أن تتعدى

وأخفق في ترطيب العلاقات الإقليمية، وزادت على ذلك شكوك جهات دولية في تفضيله لآلة الحرب على آلة السلام. كشفت التصرفات الأخيرة، أن أبي أحمد يميل لضرب عرض الحائط بكل العهود التي أعلنها منذ وصوله إلى رئاسة الحكومة بشأن الإصلاحات المطلوبة في بلد يملك مراثا اجتماعيا متشابكا ومعقدا، وأقدم على ممارسات تؤكد أنه يريد الهيمنة على السلطة، مستغلا فكرة التداخل بين المساميات والتوصيفات.

راجحت عبارات من قبيل، الشباب الطموح والمصلح الاجتماعي، الحرس القديم والديمقراطية، رجل الأمن والاستقرار، المسلم المسيحي، السياسي العسكري، وساعده هذه الأفراد في إيجاد صورة ذهنية إيجابية، عندما حل تحالف الجبهة الديمقراطية الثورية للشعوب الإثيوبية الحاكمة في ديسمبر الماضي، وشكل حزب "الإندهار"، وأزاح غالبية خصومه الحاليين والمحتملين في الحكم والمعارضة.

جاءت مشكلة أبي أحمد الرئيسية من عدم تقديره الدقيق لطبيعة المشكلات التي يواجها بلدا في حجم إثيوبيا، يتكون من فئوسا سياسية واجتماعية وعسكرية غاية في الحساسية، وتعامل مع ذلك بطريقة إقصائية فوقية، وليست حوارية تفاوضية، وتغافل عن إمكانية أن يؤدي انفلات مارد السيفساء إلى إنهاء الحسد الأدنى من الأمن والاستقرار في شرق أفريقيا برمتها.

تصرف مثل متكاتور ولم يقدر جيدا أن صعود بني على رغبة قوى كبرى في جلب السلام وتوفير الاستقرار، حيث خلف هايلي ماريام ديسالين في الحكومة بعد أن شهدت البلاد في عهده تظاهرات كادت تعصف بها. أعاد إنتاج تصرفات من سبقوه في وضع مقاليد السلطة ومفاتيحها السياسية والعسكرية في حوزته، وفقد البريق الذي أحيط به منذ صعوده، وأزيحت عنه الهالة التي رافقتة منذ حصوله على نوبل، ولم تتوقف المظاهرات في الشارع، ما يهدد وحدة إقليم الدولة.

مثل خروج إقليم تيغراي عن طوعه وإجراء انتخابات، ضربة قاصمة لظهور أبي أحمد، ففي الداخل بدأ كرئيس حكومة غير قادر على القبض على دفعة الأمور، وغير ديمقراطي بالمره لأنه فوت موعد إجراء الانتخابات العامة في أغسطس الماضي، وقرر تجميدها لأجل غير مسمى، وفي الخارج بدأ كزعيم أكثر ميلا للتصعيد.

أدى خروج تيغراي عن طوعه إلى فقدان جانب كبير من الهيبة السياسية، فلجأ إلى الخضوع العسكرية، بما ينذر بالانقراض الأهمي، وعودة شبح

يكشف جنوح رئيس الوزراء الإثيوبي أبي أحمد للحرب بإقليم تيغراي في مواجهة ما يصفه بالتمرد الانفصالي هناك، قصور مقاربه الإصلاحية في أبعادها الاجتماعية رغم بعض النجاحات الاقتصادية. ورغم حصول أبي أحمد على جائزة نوبل للسلام العام الماضي إلا أنه فشل في منع اندلاع اضطرابات عرقية، ما أحبط آمال المجتمع الدولي في تجنب المزيد من الأزمات في محيط إقليمي مضطرب أصلا.

صاعف أبي أحمد من تعنته بما وصل إلى حد الغطرسة مع مصر بشأن توقيع اتفاق ملزم يضمن حقوق جميع الأطراف، وعدم الجور على مصالح أحدها، وأمعن في الخلاف معها، والتلويح بخطاب التصعيد على حساب السلام. أفضل وساطة الولايات المتحدة والبنك الدولي، وعلى وشك إعلان فشل وساطة الاتحاد الأفريقي بعد أسابيع طويلة من المفاوضات، ولم يعبأ بتقليص جزء من المساعدات الاقتصادية الأمريكية أو التلويح بممارسة ضغوط دولية عليه، وتعمد الإنجرار إلى الصلف مع القاهرة وتجاهل الليونة التي حافظ عليها خطاب مصر السياسي.

استغل أبي أحمد الثقة التي منحت له من جهات إقليمية ودولية عدة لضبط إيقاع منطقة قلقة من العالم، ولم يدرك خطورة التمادي في خرقها، وما يفني إليه رفع الغطاء السياسي الذي وفر له جاذبية نادرة وحوله إلى أيقونة للسلام، وساعده في تخفيف عبء المشكلات الواقعة عليه في الداخل.

بين الداخل والخارج

حصر أزماته في مشروع سد النهضة لدغدغة مشاعر الإثيوبيين والخروج بهم من النفق الاقتصادي المظلم، ووجد نافذة مصر لتوجيه الأنظار إليها للتغطية على أزماته في الداخل، إلى أن جاءت لحظة مكاشفة لم ينقذه فيها خطابها العدائني تجاه مصر، التي تمكنت من الحصول على تعاطف جهات عديدة، بدأت تحل إثيوبيا مسؤولية عدم حل أزمة سد النهضة، الأمر الذي لم يردعه للتنازل.

خلط رئيس وزراء إثيوبيا بين أزماته في الداخل والخارج، وتصور خطأ أن التصعيد في الثانية يقلل من درجة الحرارة في الأولى، وكانت النتيجة أن الرجل يواجه سخونة على المستويين، أخفق في معالجة مشكلاته المحلية، الصعبة.

أبي أحمد إما أن ينجح في سحق
تمرد تيغراي وإما سيتعرض
لانتكاسات مختلفة تقضي
على مستقبله السياسيمحمد أبو الفضل
كاتب مصري

بدأ من تفاعلوا بصعود أبي أحمد إلى رئاسة الحكومة الإثيوبية منذ عامين ونصف العام يراجعون مفاهيم المؤيدة له كرجل للأمن والاستقرار في المنطقة، حيث تسببت سياساته في عودة شبح الحرب الأهلية في بلاده، بعد أن أمر الجيش بالتدخل عسكريا في إقليم تيغراي، الذي أعلن رفضه للكثير من تصرفات رئيس الحكومة المركزية.

تكمن المفارقة في أن رئيس الوزراء الإثيوبي حصل منذ نحو عام على جائزة نوبل للسلام تاييدا وتشجيعا على التحركات التي قام بها حيال الجارة إريتريا، وطى واحدة من الصفحات القاتمة في منطقة حيوية، عقب التوقيع على اتفاق سلام مع قيادتها بعيد وصوله إلى السلطة عبر وساطة سعودية إماراتية، ما يمثل دعما لخطواته الإصلاحية. وطرح التعامل بخشونة مع التطورات المتسارعة إشكالية تتعلق بسمعة القائد الخارجية ومسؤوليته السياسية في الداخل، حيث فضل أبي أحمد الثانية على الأولى، وكشف تعامله مع أزمة تيغراي أنه غير مكترث بما فرضته عليه جائزة نوبل للسلام من قيود معنوية، وأنه على استعداد للذهاب إلى أبعد مدى لقمع ما يعتبره تمردا على السلطة.

جوهر محمد
أبي أحمد لم يكن
إصلاحيا بلجأ إلى رداء
السلام لتسويق نفسه

لكن جهات معارضة، في مقدمتها جوهر محمد، رفيق درب أبي أحمد الذي انفصل عنه مبكرا وتحول إلى جبهة المعارضة، أكدت أن رئيس وزراء إثيوبيا لم يكن إصلاحيا حقيقيا، ولجأ إلى رداء السلام لتسويق نفسه لدى جهات دولية بهذه الصفة.

لم يتقدم السلام مع إريتريا بصورة عملية، أو تتخذ أديس أبابا خطوات تعكس الرغبة في تطويره، وحنث أبي أحمد برغبته في تصفير أزمات بلاده في المنطقة، وانخرط في المزيد من مشكلات الصومال، ومد بصره للهيمنة على موانئ في البلد المكتوب.

زادت الخلافات مع الخرطوم بعد أن كانت من أهم العواصم لقب وعقل أديس أبابا، وأسهم الدور السلمي الذي لعبته في تقريب المسافات بين قوى سودانية، عقب الإطاحة بنظام عمر البشير، في تعزيز أحقية أبي أحمد بجائز نوبل، ومكانته كزعيم واعد.

لعنة نوبل

منحته جائزة نوبل المزيد من الصلف بدل الثقة، وصاعف من تحركاته لتقويض الأزمات وعدم توفير السلام في المحيط الإقليمي، مع أن حيثيات الجائزة اعتمدت على خطوته الكبيرة نحو إريتريا، لكن يبدو أنه فهمها (الجائزة) على محمل آخر، حيث اعتبرها شيكا على بياض يحول له بيع وشراء البضاعة التي يريدها.

لجأ إلى التصعيد بدلا من السلام، وافتعل مشكلات من الممكن حلها سياسيا، معتقدا أن زيادة الخصوم في الخارج يضمن له وحدة الجبهة الداخلية التي تنسم بالرخاوة السياسية والعسكرية والاجتماعية، وفقا لقاعدة متداولة تقول "إذا أردت أن توحّد شعبا فأوجد له عدوا (أعداء) خارجيا".

فتح الرجل كوة للمناوشات مع السودان في جدار الحدود المسكوت عن أزماتها المقطعة، ووقعت اشتباكات غير معهودة بين قوات إثيوبية وأخرى سودانية، بعضها جاء عفويا جراء تحرك الرعاة على الجانبين، وبعضها كان مقصودا للضغط على الخرطوم لعدم تغيير موقفها من سد النهضة، وتظل على ثباتها في تاييده بلا تحفظات.

الحرب الأهلية في إثيوبيا
تهدد الأمن الإقليمي المش

وقال مراقبون إنه يجب إجراء حوار شامل، ثم صدر بيان في وقت متأخر الخميس عن لجنة من الدبلوماسيين والخبراء العسكريين الأمريكيين السابقين لصالح معهد الولايات المتحدة للسلام حذر من أنه لن يحق الكثير "بينما يظل العديد من القادة السياسيين البارزين في البلاد في السجن".

وأصبحت المنطقة التي لعب فيها أبي أحمد دور صانع سلام رفيع المستوى في خطر بعد تحذيرات من توسع نطاق المواجهة الداخلية لتشمل الدول المجاورة.

وتشمل هذه الدول المجاورة الصومال الذي بدأت القوات الإثيوبية الانسحاب منه للعودة إلى الوطن والسودان، الذي يواجه انتقاله السياسي الضخم، فيما لم تظهر إريتريا المجاورة سوى القليل من علامات الانفتاح على إثيوبيا ولم تتوافق حكومتها مع تيغراي.

ويحذر المراقبون من أن الصراع قد يجذب هذه البلدان ومعها واحدة من أكثر المواقع العسكرية الاستراتيجية في أفريقيا، حيث تمتلك العديد من القوى العالمية بما في ذلك الولايات المتحدة والصين قواعد عسكرية الوحيدة في القارة في جيبوتي.

كما أثار إثيوبيا بالفعل مخاوف بشأن نزاع مع مصر بشأن سد ضخم تقرب من الانتهاء منه على النيل الأزرق. وقال الدبلوماسي الأمريكي السابق بايتون كنبوف، وهو مستشار برنامج أفريقيا في معهد السلام الأفريقي "أعتقد أن مصر ستبقى جهة فاعلة ومسؤولة بدرجة كافية لإدراك خطر تجزئة إثيوبيا على أمنها الإقليمي".

وسرعان ما نال الثناء الذي شمل جائزة نوبل لمنحه مساحة سياسية وكبح الإجراءات القمعية في البلاد التي يبلغ عدد سكانها حوالي 110 ملايين شخص والتي تضم العشرات من الطوائف. لكن جبهة تحرير شعب تيغراي شعرت بتهميش متزايد، وانسحبت من الائتلاف الحاكم العام الماضي.

ولا يستبعد مراقبون أن يمتد الصراع إلى أجزاء أخرى من إثيوبيا، أين تدعو بعض المناطق إلى المزيد من الحكم الذاتي على غرار إقليم أوروميا، حيث دفع العنف العرقي الحكومة الفيدرالية إلى العودة إلى ممارسات سابقة تشمل اعتقال المنتقدين.

وردا على هذه المخاوف، قال نائب رئيس هيئة الأركان الإثيوبي، الجنرال برهانو غولا، الخميس عن تيغراي إن "الحرب ستنتهي هناك". وتطالب بعض الحكومات والخبراء بتنظيم حوار عاجل حول تيغراي، لكن دبلوماسيا غربيا في العاصمة أديس أبابا قال إن "الرسالة من الإثيوبيين تؤكد أنك إذا تحدثت عن حوار فانت تساوي الطرفين، لكن الحكومة شرعية بينما المجموعة متمردة".

وتابع الدبلوماسي بشرط عدم الكشف عن هويته، إن الهدف الذي طرحته إثيوبيا يكمن في سحق جبهة تحرير شعب تيغراي، "وإذا قلت إنني سأسحقك، فهل يوجد مجال لأي تفاوض؟". وقالت جبهة تحرير شعب تيغراي إنها غير مهتمة بالتفاوض مع الحكومة الفيدرالية، وإنها سعت إلى إطلاق سراح القادة المحتجزين كشرط مسبق للمحادثات.

أديس أبابا - أعلن رئيس الوزراء الإثيوبي أبي أحمد التي شنّها العمليات العسكرية التي شنّها قواته في منطقة تيغراي (شمال) أهدافها محدودة، في وقت تزداد الضغوط الدولية زحما لتجنب حرب أهلية مدمرة قد تمتد أسننتها إلى منطقة القرن الأفريقي المضطرب بالفعل.

واشدت القتال في أعقاب إصدار أبي أحمد أمرا للجيش بتنفيذ المزيد من العمليات العسكرية في الإقليم هذا الأسبوع بعد أن اتهم جبهة تحرير تيغراي بشن "هجوم مميت" على قاعدة عسكرية في تيغراي منذ أيام.

ويشكل الرد العسكري بداية نزاع في إثيوبيا التي تشهد سلسلة من النزاعات الانفصالية والعرقية المتزايدة. ودعا الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش إلى خفض فوري للتصعيد بينما تحدثت معلومات عن قصف عنيف وتحريك قوات، فيما حذر مراقبون من أن أي حرب بين الجيشين القويين ستكون دامية وسيطول أمدها.

وهيمنت جبهة تحرير شعب تيغراي على الجيش والحكومة في البلاد قبل أن يتولى أبي أحمد السلطة في 2018 وتتمتع بخبرة في الصراع إثر الحرب الحدودية التي دامت سنوات بين إثيوبيا وإريتريا. كما تقدر مجموعة الأزمات الدولية أن القوات شبه العسكرية التابعة لجبهة تحرير شعب تيغراي والمليشيات المحلية تشمل حوالي 250 ألف جندي. وعين الائتلاف الحاكم في إثيوبيا أبي أحمد رئيسا للوزراء في 2018 للمساعدة في تهدئة أشهر من الاحتجاجات المناهضة للحكومة.